بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين؛ نبيِّنا محمد ﷺ وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد... فالآن نحن مع الحديث السابع من أحاديث «جوامع الأخبار» للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله:

الحديث السابع

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعٌ من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النِّفاق حتىٰ يدعها، إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». متَّفق عليه.

هذا الحديث حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في بيان خصال المنافقين وصفاتهم، وبيانُ ذلك من النبي ﷺ لأمَّته وهو علىٰ وجه التَّحذير، ينصح أمته محذِّرًا من هذه الأوصاف الذَّميمة، والخصال المشينة، التي هي أوصاف أهل النِّفاق، وأمَّا أهل الإيمان فإنَّ صفاتهم أضداد هذه الصفات؛ يتصفون بالصدِّق، والوفاء، والأمانة، ورعاية الحقوق، وغير ذلك من النعوت المباركة والصفات الطيبة التي يتصف بها أهل الإيمان.

وأما الصفات التي هنا فهي من خصال المنافقين، ومن صفات المنافقين. ويذكرها النبي ﷺ محذِّرًا أمَّته منها حتىٰ يتحاشىٰ عبد الله المؤمن هذه الأوصاف الذَّميمة التي هي من أوصاف المنافقين، وبدأ عليه الصلاة والسلام حديثه المبارك هذا بقوله: «**أربعٌ من كن فيه**» وهذه طريقة بديعة في التَّعليم تكثر في أحاديث الرَّسول ﷺ فكثير ما يبدأ بذكر رقم إما أن يقول: أربع، أو خمس، أو ست، أو سبع، أو غير ذلك من الأرقام التي كثيرًا ما تأتي في السنة. وهذه الأرقام ذِكرها في البداية مفيدة جدًّا للمتعلم والمتلقي لأنه إذا ذكر له الرقم في البداية:

أولا: تشوق لمعرفة التفاصيل.

وثانيا: لأن ذلك أضبط للعلم، وأمكن للفائدة، وأدعىٰ لثباتها.

وكلكم يعلم أن ما يذكر مصدرًا برقمه وعدده يضبطه الإنسان أكثر مما يذكر له هكذا دون ذكرٍ لرقم أو عدد، وهذا من كمال تعليم النبيِّ ﷺ وحسن نُصحه قال: «**أربعٌ من كن فيه**» وهو يقول ذلك علىٰ وجه

التحذير للأمة أي: احذروا هذه الصِّفات، وابتعدوا عنها، وإيَّاكم وإياها فإنها من أوصاف المنافقين.

«أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا» يعني: إذا اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع كان منافقًا خالصًا؛ لأن هذه الصفات الأربع إذا اكتملت في العبد، واجتمعت فيه، وتأصَّلت عنده، ولم يكُن عنده ما يدفعها فإنَّ هذا علىٰ دينه خطورة؛ لأن الإيمان يدفع هذه الصِّفات ويطردها ويمنع العبد منها، فإذا لم يكن عند العبد ما يدفع به هذه الصفات ويمنعها من الوقوع منه فإن هذا دليلٌ علىٰ رقَّة الدِّين واتصاف صاحب هذا الأمر بأوصاف المنافقين ويُخشىٰ علىٰ دينه، ولا تكاد تجتمع هذه الصِّفات وتستحكم إلَّا في المنافق الخالص الذي ليس عنده إيمان يدفع هذه الصِّفات، أمَّا الإيمان إذا وُجد فإن وجوده يدفعها، وكلَّما قوي كان دفعه لها أقوىٰ وأمكن بحسب قوَّة إيمان الشخص.

قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا» لأن المنافقين اجتمعت فيهم هذه الصِّفات، واستحكمت منهم، وأصبحت هي ديدنهم في تعاملهم مع الناس: الكذب، والخيانة، والغدر، وعدم مراعاة حقوق الآخرين، والفجور في الخصومة إلىٰ غير ذلك من أوصاف هؤلاء الذَّميمة.

قال: «كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من النِّفاق حتىٰ يدعها». «كانت فيه خصلة من النفاق» كأن يكون عنده كذب، أو عنده غدر، أو بعض الغدر، أو عدم الوفاء للأمانة، أو الوفاء بالوعد، فإذا وُجد في الإنسان شيء من هذه الخصال فقد وُجدت فيه شعبة من شُعب النِّفاق «حتىٰ يدعها» يعني لا تذهب عنه هذه الشعبة إلا بتركه لها، وقوله: «حتىٰ يدعها» هذا فيه دعوة لمن وُجد فيه شيء من هذه الصفات أن يبادر إلىٰ تركها؛ قال: «حتىٰ يدعها» هذا فيه إشارة إلىٰ المبادرة للترك حتىٰ يتخلَّص الإنسان المسلم النَّاصح إلىٰ نفسه من أوصاف المنافقين، ومن الذي يرضىٰ لنفسه أن يكون متصفًا بصفات المنافقين؟ ولهذا العاقل إذا علم بالصِّفة أنها من صفات المنافقين، وأنها ممَّا ذمه الله عَزَّوَجَلَّ وذمه رسوله ﷺ فإنَّه يبادر إلىٰ تركها والبعد عنها حتىٰ لا يكون فيه شعبة من شعب النفاق.

ثم ذكر عليه الصلاة والسلام هذه الخصال الأربع قال: «إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». وهذه الخصال الأربع التي ذكر ﷺ، هي من النفاق العملي؛ لأن النفاق نفاقان: نفاق اعتقادي، ونفاق عملي.

النفاق الاعتقادي يخرج صاحبه من ملة الإسلام، وينقله من حظيرة الدِّين، وهو يوم القيامة في الدرْك الأسفل من النار.

والنفاق الاعتقادي: هو أن يظهر ما لا يبطن. يظهر الإيمان ويبطن الكفر، يظهر الصلاح ويبطن الفساد، يظهر الخير ويبطن الشر، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ عن هؤلاء المنافقين النفاق الاعتقادي: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة]، وقال الله تعالىٰ عنهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۘ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۗ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون]، كاذبون لأنهم يظهرون ما لا يبطنون، ويعلنون ما لا يسرون، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر، فهذا نفاقٌ اعتقادي ومن وُجد فيه خرج من ملة الإسلام، وكان يوم القيامة في أسفل السَّافلين في النيران ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥] كما قال الله تعالىٰ.

وهذا النفاق الاعتقادي صاحبه لا ينتفع معه لا بصلاة، ولا قيام، ولا بصيام، ولا بصدقة، ولا بر، ولا إحسان كلها لا ينتفع بها ولا يستفيد منها، ولا تكون في صالح عمله، لماذا؟ لأنها لم يصاحبْها النية الصالحة التي يكون بها قبول العمل حتىٰ وإن وجد منه العمل الصالح في ظاهره من صلاة، وصيام، وصدقة، وغير ذلك. فإنها لا تكون في صالح عمله؛ لأن النية التي هي أساس قبول الأعمال ليست موجودة عند المنافق. المنافق نيته فاسدة فيما يظهر من عمل ولهذا لا يستفيد من عمله الذي ظاهره الصَّلاح لا يستفيد منه يوم القيامة لا الصلاة، ولا الصيام، ولا الصَّدقة، ولا أي عمل من الأعمال التي ظاهرها الصلاح قام بها في حياته لماذا؟ لأنها الباطن الذي صدرت منه هذه الأعمال باطنٌ خبيث، ليس فيه نية صالحة، وليس فيه مقصد صالح. ولهذا لا يتقبَّل الله عَزَّوَجَلَّ منهم أعمالهم. ومن شرط قبول العمل أن يكون قائما علىٰ إيمانٍ صحيح «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوىٰ».

وقال الله تعالىٰ في قبول الأعمال: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [الإسراء:١٩] هذه الصِّفة ليست موجودة في أهل النفاق.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ﴾ [غافر:٤٠] وهذا ليس موجودا عند أهل النفاق.

النفاق الاعتقادي إذا وجد أحبط الأعمال وأفسدها، ولم ينتفع صاحبه بأي عملٍ عمله، ولو كانت أعماله أمثال الجبال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٥٤].

والنوع الثاني من أنواع النفاق: النفاق العملي.

والنفاق العملي لا يخرج صاحبه من الملة، وهذا الذي ذكر في الحديث هنا هو من النفاق العملي مثل

الكذب، والخيانة، وعدم الوفاء، والفُجور في الخصومة، هذه كلُّها من النِّفاق العملي. وهذه الصِّفات هي من أوصاف المنافقين وهي تصدُر عنهم، ومستحكِمة فيهم هذه الصفات، وهم أهلها والمعروفون بها، الكذب، والغدر، والفجور في الخصومة، وعدم الوفاء بالعهد، وعدم أداء الأمانة. هذه أوصاف المنافقين الملتصقة بهم، الغير منفكة عنهم، وهم ملازمون لها فهي صفاتهم. وقد توجد هذه الصفات في أهل الإسلام، أو في بعض أهل الإسلام وأهل الدين، قد يوجد فيهم شيء من الكذب، أو يوجد شيء من الغدر، أو يوجد فيهم شيء من عدم الوفاء بالأمانة، أو نحو ذلك، فهذه إذا وجدت ممن هو مسلم، وليس منافقًا نفاقًا اعتقاديًا. إذا وجدت منه فقد وجد فيه ..... ومن يعني قال عليه الصلاة والسلام: «**ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق**» يعني: مع بقاء الإسلام فيه يكون فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها.

والحديث يدل دلالة واضحة علىٰ أن من الممكن أن يكون الإنسان مسلما، وفيه خصلة من خصال النفاق، ومن الممكن أن يكون مسلما وفيه شعبة من شعب الكفر، ليس فيه الكفر الخالص، أو النفاق الخالص، أو فيه من شعبه، وإنما فيه من شعب الكفر.

مثل ذلك قول النبي ﷺ «اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة علىٰ الميت»، وقال عليه الصلاة والسلام: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا ترجعون بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض» وهذا كلُّه كفر عملي. مثل الحديث هذا النِّفاق الذي ذكر فيه نفاق عملي، والنفاق العملي والكفر العملي إذا وجد من الشخص لا ينتقل به من الملة؛ لكنه يضعف دينه، وينقص إيمانه بحسب ما قام به من هذه الشُّعب. وإذا قامت فيه بعض هذه الشعب أو قام فيه شيء من هذه الشعب لا يخرج بها من ملة الإسلام، ولا ينتقل بها من الدِّين؛ بل يكون مسلمًا، أو يكون مؤمنًا ضعيف الإيمان، مؤمنا ناقص الإيمان، لا يكون كافرًا منتقلًا من الدِّين، ولا يكون أيضًا مؤمنًا كامل الإيمان، كل هذا خطأ، وإنما يكون مؤمنًا ناقص الإيمان، وهذا الذي عليه أهل السنة، وهو ما دلَّت عليه النصوص الواضحة في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ.

أما الخوارج والمعتزلة فطريقتهم مع هذه النصوص التي فيها ذِكر خصال النفاق أو ذكر خصال الكفر فإنهم يخرجون من قام به شيء من هذه الخصال من ملة الإسلام، ويُخرجونه من الدين.

الخوارج يقولون: إنه كافر.

والمعتزلة يقولون: إنه خرج من الإيمان، ولم يدخل الكفر، وإنما هو في منزلة بين المنزلتين.

وهذا كله ضلال وباطل، وقولٌ في دين الله تعالىٰ بلا برهان.

وأيضًا من الباطل قول من يقول: أن هذه الأمور لا تضر إيمان الشخص؛ بل يكون معه وجودها فيه مؤمنا كامل الإيمان. وهذا باطل وضلال، وهو الذي عليه المرجئة، فهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، وأمثال هذه الخصال عندهم لا تضر مع الإيمان؛ بل تكون في الشخص موجودة وهو بزعمهم مؤمن كامل الإيمان. فهذا ضلال، وذاك ضلال، والحق وسطٌ بين ذلك.

فخصال النفاق العملي، وكذلك خصال الكفر العملية إذا وُجدت في الشخص لا يكون بها كافرًا منتقلًا من ملَّة الإسلام، وإنما يكون عنده إيمانٌ وفيه شعبة من شعب الكفر، إلَّا إذا كان يعني ما قام به من عمل دلَّ الدليل علىٰ أنه ينتقل به من ملة الإسلام، ويخرج به من الدين. وأمثال هذه الأحاديث ينبغي أن تفهم الفهم الصحيح حتىٰ لا يقع الإنسان في فهم غير صحيح لأمثال هذه النُّصوص التي هي نصوص وعيد وتهديد.

قال: «إذا اؤتمن خان» وهذه الخصلة الأولىٰ من الخصال الأربع، «إذا اؤتمن خان» إذا اؤتمن علىٰ أمر من الأمور، أو متاع، أو نحو ذلك خان ما اؤتمن عليه، وهذه الخيانة هي من أوصاف المنافقين؛ لأن خيانتهم للأمانة فيما بينهم وبين الناس من معاملة هي فرعٌ عن خيانتهم للأمانة في دين الله عَزَّوَجَلَّ الذي ائتمنهم الله تبارك وتعالىٰ عليه، ولنتنبَّه لذلك.

دين الله عَزَّوَجَلَّ أمانة، والله عَزَّوَجَلَّ طلب من عباده أجمع أن يوفُّوا هذه الأمانة وأن يؤدوا حقها؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب]، هذه الأمانة من الدِّين المذكورة في الحديث هنا الأمانة هي دين الله الذي خلق الله عَزَّوَجَلَّ الخلق لأجله، وأوجدهم لتحقيقه، فماذا كان شأن أهل النِّفاق مع هذه الأمانة؟ شأنهم أنهم أظهروا للنَّاس قيامهم بهذا الأمانة؛ ولكنهم أبطنوا في باطنهم خلاف ذلك.

والمشركون أعرضوا عن هذه الأمانة في ظاهرهم وباطنهم، والمؤمنون وفَّوا بهذه الأمانة في الظاهر والباطن، والسر والعلن، ولهذا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عقب هذه الآية أقسام الناس مع الأمانة، قال: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾ [الأحزاب]، فذكر أقسامًا ثلاثة للنَّاس مع الأمانة:

قسم المنافقين والمنافقات الذين أظهروا للناس وفاءهم بالأمانة وأبطنوا ضد ذلك.

والقسم الثاني المشركين والمشركات الذين لم يلتزموا بهذه الأمانة لا في الباطن ولا في الظاهر.

والقسم الثالث المؤمنين والمؤمنات الذين وفوا بهذه الأمانة في ظاهرهم وباطنهم.

والشاهد: أن المنافقين خانوا الأمانة العظمىٰ التي هي دين الله ﷻ، وكان من فروع هذه الخيانة خيانة الأمانة بينهم وبين الناس، ولهذا إذا اؤتمن أحدهم خان، وليس هذا بغريب، إذا كان خان الأمانة العظمىٰ فمِن الهين عليه واليسير عنده أن يخون أمانةً دون ذلك بينه وبين الناس، ولهذا فإن خيانة الأمانة من صفات النِّفاق، ومن أعمال المنافقين، وهي من صفاتهم المتأصِّلة فيهم.

والخصلة الثانية: قال: «**إذا حدَّث كذب**» الكذب في الحديث، والكذِب كما قال عليه الصلاة والسلام: «يهدي إلىٰ الفجور، والفجور يهدي إلىٰ النَّار» والمنافق لا يبالي في حديثه، ويقول فيما يحدِّث خلاف الحقيقة وخلاف الصدق، وليس كذبهم فقط علىٰ الناس، وإنما يكذبون علىٰ الله، وعلىٰ دينه، وعلىٰ أنبيائه، وعلىٰ رسله وهذه من صفاتهم خان الأمانة العُظمىٰ فعطَّلوا دين الله ﷻ وإن كانوا تظاهرون بالقيام به، وأيضًا استشرىٰ فيهم الكذب فهم يكذِبون علىٰ الله، وعلىٰ عباده، وعلىٰ دينه، وعلىٰ أنبيائه ورسله، ديدنهم الكذب، والكذب من أوصاف النِّفاق؛ لأن المؤمن عنده الصَّفاء، عنده الوضوح، عنده النَّقاء، ليس عنده ما يحتاج إليه المنافق من إظهار شيء وإبطان شيء، وإنَّما عنده وضوح وصفاء ونقاء، وأعمالُه كلها بينة ظاهرة، ولهذا المؤمن يجانِب الكذب، وإيمانه يدفع الكذب ويمنع وقوعه من صاحبه، فإذا وقع منه الكذب فهذا دليل ضعف الإيمان؛ لأن الإيمان إذا قوي منع صاحبه من الكذب، وإذا ضعُف الإيمان وجد الكذب الذي هو من خِصال النفاق، وليس من خصال الإيمان؛ لأن الكذب من فروع النِّفاق كما أن الصدق من فروع الإيمان، والكذب من فروع النِّفاق، الوفاء بالأمانة من فروع الإيمان، وخيانة الأمانة من فروع النِّفاق، يعني خيانة الأمانة، والكذب، متفرِّع عن النِّفاق. وأشرت فيما سبق من تقديم أنه قد يوجد في الإنسان شيءٌ من هذه الفروع تدخُل عليه ولا يكون من المنافقين الخُلَّص أهل النِّفاق الاعتقادي.

قال: «**وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غدر**» أيضًا هذه من صفات المنافقين الغدر يعطي العهود والمواثيق والأَيْمان المغلظة أن لا يفعل كذا وان يلتزم بكذا؛ لكنه لايبالي بعهوده، ولا يلتزم بمواثيقه، ولا يكترث بالأَيمان المغلظة التي التزم بها وتعهد بالوفاء بها، كل ذلك لا يبالي به، ويغدِر في عهده، ولا يفي فيه، وإنَّما يغدر، وهذا الغدر من أوصاف أهل النفاق، وليس من أوصاف أهل الإيمان، أهل الإيمان أوفياء دينهم

دين الوفاء، دينهم دين الالتزام، دينهم دين الثقة والعدل هذه فروع الإيمان، أمَّا الغدر فهذه من فروع النفاق ومن وجد فيه الغدر فقد وجدت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها حتىٰ يتبرأ من هذه الخصلة ويتوب إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ منها.

والخصلة الرابعة في الحديث قال: «**وإذا خاصم فجر**» وإذا خاصم فجر؛ أي: إذا كان بينه وبين أحد من الناس خصومة علىٰ حقوق، أو علىٰ أموال، أو علىٰ أشياء من هذا القبِيل فإنه يفجر بالخصومة، ويقول خلاف الحقيقة ويحلف مثلًا أيمانًا فاجرة أن هذا لي وهو مالي وقد ورثته كابرًا عن كابر، وعندي كذا من البينات، وعندي من البراهين فجور في الخصومة، ويأتي بأشياء يبتزّ بها حقوق الناس ويستولي بها علىٰ أموالهم، ولا يبالي بحقوقهم، همُّه أن يحصِّل دنياه كيفما كان تحصيلُها ولو كان علىٰ حساب حقوق الآخرين، وظُلمهم، والاعتداء عليهم، «**إذا خاصم فجر**» نصْب عينه أن يحصِّل ما يريد؛ بأي طريقة كانت، ولهذا يفجر في الخصومة، أمَّا المؤمن فإنه يخاف قيامه بين يدي رب العالمين، ويخاف أن يلقىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بظلمة لأحد من عباده. ويعرف أن الله عَزَّوَجَلَّ يحاسبه علىٰ تجاوزه وتعدِّيه، ولهذا لا يقع منه فجور في الخصومة، فإذا وقع فجور في الخصومة وعدم مبالاة بحقوق الآخرين فهذا دليل علىٰ وجود خصلة من خصال النفاق في الإنسان ما لم يدع هذا الأمر.

لأن من خصال النفاق الفجور في الخصومة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**وإذا خاصم فجر**» هذه أوصاف أهل النفاق بينما أهل الإيمان فعندهم الأمانة، وعندهم الصِّدق، وعندهم الوفاء، بالعهد، وعندهم أيضًا مراعاة حقوق الناس، وعدم الاعتداء عليها، فهذه أوصاف أهل الإيمان. وهي أضداد لأوصاف أهل النفاق. وعلىٰ كل حال نبينا صلوات الله وسلامه عليه ذكر هذه الخصال محذِّرًا أمته منها ومنذرًا عباد الله من الوقوع فيها، وأن يعلم عبد الله المؤمن أنَّ أمثال هذه الأوصاف ليست من صفات أهل الإيمان، وإنَّما هي من صفات أهل النفاق ولهذا يبتعد عنها، ويحذر من الوقوع فيها، ومن كمال هذا الدِّين حرصه علىٰ تربية أهلِه علىٰ هذه الصفات منذ النشأة ومنذ الصغر.. ليتربُّوا علىٰ خصال أهل الإيمان، وليكونوا في غاية البعد عن خصال أهل النفاق، ومن نشأ لا يبالي بأمثال هذه الخصال، وأَخذت تتنامىٰ فيه، وتتزايد عنده يُخشىٰ عليه أن تطرأ عليه هذه الأمور فيقع في النفاق الخالص الذي يخرج به الإنسان من ملة الإسلام.

والإسلام راعىٰ في تربية الصِّغار إبعادهم عن هذه الأمور، وأيضًا حذَّر أولياء الأمور والمربِّين من فعل أي أمر يغير فطرة الصغير فيحرفه بأن يقع في صفات أهل النفاق. والصغير عندما يولد يولد علىٰ الفطرة، ومن

الفطرة الصدق، والوفاء، وعدم الاعتداء علىٰ حقوق الناس، هذه أمور تولد مع الإنسان ويفطر عليها. ولهذا يقول بعض المربِّين إنَّ من يربي الصغار علىٰ الإسلام تربيته لهم عليه أمر سهل جدًّا؛ لأنك تربيه علىٰ شيء غُرس فيه، وجُبل عليه، لست تقحم فيه أمور أجنبية عنه، وإنما تربِّيه علىٰ أمور جبل عليها وفطر عليها، لا تعطيه أمورًا أجنبية، هل تجد صعوبة عندما تقول لصغيرك عليك بالصدق يا بني؟ أنت إذا قلت له: عليك بالصدق. هذا الذي تدعوه إليه هو الذي جُبل عليه، وإذا دعوته إلىٰ الأمانة، وإلىٰ الوفاء، وإلىٰ غير ذلك من خصال الإيمان، أنت تدعوه إلىٰ خصال جُبل عليها لست تحشُر فيه أمورًا أجنبية عن فطرته، ومباينة لجبلته، وإنما تُعطيه أمورًا هي من مما جُبل عليه وفطر عليه، ولهذا وجب علىٰ الأب، والأم، والمربِّي، أن يحذر غاية الحَذر من أن يقوم بأمور تخل بفطرة الطفل وتَحرِفه عن الوفاء، إذا وجدت صغيرا يكذب الكذب الذي عنده لم يُولد معه، وإنَّما يوجد فيمن أمامه إمَّا أبٌ قريب، أو أم، أو أحد الأقرباء من تعامل معه يومًا بمعاملة أدَّت إلىٰ غرس هذه الخصلة فيه.

ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا قال الرجل للطفل تعال خذ ولم يعطِه شيء كُتبت عليه كذبة» قد يتساهل الإنسان في مثل هذه الخصلة فيقول: أنا أريد أن أمسك به، أو أداعبه، أو أريد أن يأتي إلي، لكنه يغيب عن ذهنه أن هذه تكون سبب انحراف طويل المدىٰ في عمر هذا الصغير حيث جرَّأته علىٰ الكذب وأدخلت عليه هذه الخصلة الأجنبية عن فطرته. فتقول له: تعال خذ أعطيك حلوىٰ فيأتي يركض إليك ليأخذ الحلوىٰ منك، ثم يجد يدك ما فيها شيء، أنت فزت بشيء أنَّ الصغير أتىٰ إليك، وكسبت مداعبته، وانبسطت وإياه، لكنك لا تدري قد تكون فعلتك هذه غرست في هذا الصغير كذبًا استمر عليه إلىٰ أن يموت، وتكون أنت الذي سننت به هذه السنة السَّيئة. فالأمر جدٌّ خطير، قد يأخذها البعض بما يسمىٰ عفوية، ويرىٰ أن المسالة ليست بذاك الحجم الكبير، وأنها مجرد مداعبة بريئة مع الطفل، ولماذا تشددون في كل الأمور حتىٰ في مداعبة الأطفال؟ وما يدري مثل هذا ونظرائه أنه يجني علىٰ صغيره جناية بالغة قد تستمر معه إلىٰ حياته، وتبقىٰ معه إلىٰ أن يموت.

ولهذا الإسلام يربي حتىٰ من الصغر يربي الصغار وينشئهم علىٰ التزام خصال الإيمان، والبُعد عن خصال النِّفاق مثل الخيانة، ومثل الغدر، ومثل الكذب، الصَّغير لا يغدر، ولا يخون، ولا يكذب، لكن متىٰ يكذب؟ ومتىٰ يغدر؟ ومتىٰ يخون؟ إلا إذا وُجد في بيته من يجرِّئه. وقد تعجب ترىٰ طفلًا عمره ثلاث سنوات أو أربع سنوات لتوِّه بدأ يفك الحروف فيكذب، هل كذبه هذا جاء معه من ولادته، أم أن أمورا

أمامه رآها فولدت فيه الكذب، وغرست فيه هذه الخصلة؟ ولهذا مسؤولية الآباء، والأمهات، والمربين عمومًا، والله مسؤولية عظيمة حتىٰ من يعلم الطلاب في المراحل الدنيا في المدارس لما يقول لطلابه: أن كتبت كذا أعطيك جائزة ثمينة، ثم يكتبه فلا يعطيه، يتعلم منه الكذب يتعلم منه الكذب، وينشأ علىٰ الخيانة، وعلىٰ الكذب من هؤلاء الذين أمامه، قال ﷺ: «كل مولود يولد علىٰ الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه» أبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، ثم ضرب مثالًا قال: «كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء» يعني مكتملة الأطراف «هل ترون فيها من جدعاء إلا أن تكونوا أنتم الذين تجدعونها» ومثل هذا يكون في الصغار، ولهذا أمثال هذه الخصال التي يحذِّر منها النبي عليه الصلاة والسلام يجب أن يعتني بها الشخص في نفسه، وأن يكون مجانبًا لها، وبعيدًا عنها أولًا حفاظًا علىٰ نفسه هو، حفاظًا علىٰ من تحته من أولاد وصغار لينشؤوا أوفياء، لينشؤوا صادقين، لينشؤوا أمناء، لينشؤوا مراعين لحقوق الناس، بعيدين عن النفاق، وأوصاف المنافقين.

الحديث الثامن

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدَكم فيقول: من خلق كذا من خلق كذا حتىٰ يقول: من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله، ولينته».

وفي لفظ: «**فليقل: آمنت بالله ورسله**». متفق عليه.

وفي لفظ: «**لا يزال الناس يتساءلون حتىٰ يقولوا: من خلق الله؟**».

هذا الحديث حديث عظيم في علاج الوسوسة، والوسوسة يبتلىٰ بها كثير من الناس، والوسوسة تكون من جهتين، التي تدخل قلوب الناس، وتؤثر علىٰ أديانهم، وتؤثر علىٰ عقائدهم وإيمانهم، تدخل عليهم من جهتين:

الجهة الأولىٰ: من الشيطان الرجيم؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِي يُوَسۡوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ ومن أسماء الشيطان الوسواس، لأنه يلقي الوساوس في صدور الناس، يلقيها في الصدور والناس لا يرونها وهو عدو لهم وقد قال بعض السلف: "عدو يراك، ولا تراه شديد المؤنة" يعني: صعب التعامل معه، والتخلص منه، لأنه يراك، وأنت لا تراه لو كان عدو واضح أمامك تراه فمنازلتُه أيسر، لكن عدو لا تراه، وإن لم تتحصن منه دخل معك في بيتك، ودخل معك في فِراشك، ودخل معك في مركبك، ودخل معك في متجرك، وشاركك في مالك

واهلك وولدك ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾[الإسراء:٦٤] فعدو بهذه الصفة شديد المؤنة، من صفاته أنه يوسوس في صدور الناس، يعني يُلقي الوساوس في الصدور، ويبدأ يدخل في صدر الإنسان أمورًا إذا دخلت في قلبه أهلكته، وإذا تمكَّنت من قلبه أفسدت دينه، وربما أخرجته منه بالكلِّية، وكم من إنسان أخرجه الشيطان من الدِّين بالوساوس، ألقىٰ في قلبه الوساوس التي هي الشُّبهات حتىٰ أخرجه بها من ملة الإسلام، والوساوس هذه أمورٌ يلقيها الشيطان في صدور الناس وإذا كان الأمر كذلك فإن كل مسلم يحتاج إلىٰ الوسائل المفيدة، والطرائق النافعة التي يتخلَّص بها من وساوس الشيطان، فقلت: إن الوساوس تأتي من جهتين، فهذه جهة التي هي الشيطان.

والجهة الثانية: أيضًا هي من شياطين الإنس، وكما أنَّ الجن فيهم شياطين فالإنس أيضًا فيهم شياطين. قال الله تعالىٰ: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]، فالإنس فيهم شياطين، والجن فيهم أيضًا شياطين، ويتعاونون، بينهم تعاون وتكاتف للصد عن دين الله جل وعلا.

وشياطين الإنس يلقون الوساوس أيضًا، إما عن طريق الكتابات؛ يكتبون وساوسهم، ويشككون الناس في أديانهم، ويبدأون بذكر النظريات العقلية، والفلسفات الباطلة؛ حتىٰ يشككوا الناس في أديانهم، بما أنه كذا إذًا يكون كذا، ولو كان كذا، ويدخلون الناس في متاهات عقلية يصرفونهم بها عن الدِّين، ويحرفونهم عن الحقِّ، والهدىٰ، والصواب إما عن طريق الكتابات، وإمَّا عن طريق أيضًا الخطاب مباشرة، وفي زماننا هذا اتسعت رقعة وساوس شياطين الجن عن طريق القنوات الفضائية، وعن طريق شبكة المعلومات الانترنت، وأصبح بعض الشباب يجلس أمام القنوات الفضائية يقلب قناة تلو الأخرىٰ، وبعض القنوات في قنوات يبثها الكفار والملاحده ويستهدفون أهل الدين في إيمانهم، وفي عقائدهم، وفي أديانهم، وفي أخلاقهم، يستهدفونهم، ويخططون، ويمكرون حتىٰ يبعدوا الناس عن دين الله، وكذلك عن طريق الشبكة شبكة المعلومات الانترنت يخططون، ويمكرون، ثم يأتي الشاب أو الشابة فيجلس أمام القناة أو الأمام هذه الشبكة ويذهب إلىٰ تلك الأمكنة الموبوءة، في بادئ الأمر يذهب إليها من باب الفضول والإطلاع حتىٰ يرىٰ ويقول: لماذا نستمر منغلقين؟ لماذا نستمر منغلقين لانفتح؟ يقول: ننفتح نمشي نشوف أش فيها الدنيا، وماذا عند الناس؟ إيمان ضعيف، وعلم قليل، ويأتيه هذا الوسواس ويقول له: انفتح. ويبدأ المسكين ينفتح الآن، ويدخل في القنوات، ويدخل في الشبكات هذه وينظر ماذا عند الناس ثم يفاجأ بسيل من الشبهات، والشكوك التي ليس عنده إيمان قوي يدفعها، ولا علم راسخ يمنعها فماذا يحدث؟ أي شيء

يحدث؟ تتمكن من قلبه، وتدخل في فؤاده، ويريد أن تنطرد عنه فلا تنطرد؛ لأنه ليس هناك إيمان راسخ، ولا علم متين يطرد هذه الأشياء ويمنعها فتدخل قلبه، ثم بسبب هذا الانفتاح المزعوم يبدأ يتدرج شيئا فشيئا في الانحلال من الدين والانفكاك من عراه، وتبدأ هذه الشبهات تدخل عليه شبهة تلوىٰ الأخرىٰ ثم يبدأ تدريجا يتخلىٰ عن دينه، يتخلىٰ عن إعمال الدين، ويتخلىٰ عن طاعاته لرب العالمين، ثم أيضا تبدأ تظهر علىٰ فيه ومن لسانه كلمات الكفر وكلمات الإلحاد، وكلمات التشكيك بربِّ العالمين، وبدينه، وبأنبيائه، وكما يقولون في المثل: "وعلىٰ نفسها جنت براقش" هو الذي جنىٰ علىٰ نفسه، ألقىٰ نفسه في تلك المخاطر، ووضع نفسه في وسط تلك الأمواج ويريد لنفسه ماذا؟ النجاة والسلامة، وإن كان الذي وضَعه في هذا الموضع والده أو والدته، وهو أو هي، يطمعان إن يكون مع وجود هذه الأشياء سليمًا فشأنهم كما قال الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إيّاك إياك إن تبتل بالمـــاء

وهذا غير ممكن، إذا جاء في وسط هذه الأمواج المتلاطمة، والفتن المتلاحقة، والشرور العظيمة، كيف تبقىٰ له نجاته وسلامته وهو في وسط هذه الأشياء؟

فعلىٰ كلِّ حال الوساوس لها مدخلان علىٰ الإنسان كما قدمت: إما من شياطين الجن، أو من شياطين الإنس، وربما يفوق شيطان الإنس شيطان الجن في الإغواء والصد عن دين الله؛ بل بعض شياطين الإنس يفخر لأنه أتىٰ بما لم يأت به شياطين الجن، حتىٰ قال أحدهم يمدح نفسه:" كنت امرأً من جند إبليس، فارتقىٰ بي الحال حتىٰ صار إبليس من جندي" يعني ترقىٰ الأمر عندي حتىٰ أصبح إبليس أحد جنودي. فالجن فيهم شياطين، والإنس فيهم شياطين، وكلُّهم يسيرون في هدف واحد وهو الصد عن دين الله تبارك وتعالىٰ. وكل من كان همُّه الصد عن دين الله فهو شيطان إنسي كان أو جني، كل من كان هدفه وهمه الصد عن دين الله فهو شيطان.

الوساوس لها مدخلان والناس مبتلات بها، وزماننا هذا زمن كثرة الوساوس، وانفتحت الوساوس علىٰ الناس انفتاحا عجيبا، قبل انتشار هذه الوسائل حقيقة كان الناس في دَعة البنت في بيتها يعني لا تسمع كلامًا إلا من والدها، أو أمها، أو أختها، وإن اتَّسع الأمر أكثر من بنات جيرانها، إما أن يأتيها الكفار في بيتها يغذونها هذا ما كان يوجد. الآن يأتيها الكفار في بيتها وفي غرفتها ويخططون لها تخطيطًا من أغرب ما يكون وأعجب ما يكون حتىٰ يخرجوها من عفّتها من شرفها، من ديانتها، من ورعها، من طهارتها من تقواها،

من خلال القنوات، ومن خلال شبكة المعلومات الأنترنت، فهذا باب خطير، ومنزلق خطير جدًّا، ويجب علىٰ الإنسان أن يكون في غاية الحصانة والحيطة لدينه إذا كان يريد فعلًا أن يلقىٰ الله يوم القيامة بقلبٍ سليم، أمَّا إذا كان ما يبالي بقلبه أين ذهب ولا بدينه أين يكون هذا شأنه آخر، لكن من يريد أن يلقىٰ الله ﷻ بقلب سليم فيجب عليه أن يتحصَّن وان يحذر من وساوس شياطين الجن والإنس.

عرفنا فيما يتعلق بعض الشيء بالوساوس وكيف تجيء، فكيف يتخلص منها؟ إذا ابتلي الإنسان بشيء من الوساوس كيف يتخلص منها؟

هذا الحديث المبارك هو أنفع ما يكون لعلاج الوسوسة والتخلص منها، وقد ذكر فيه النبي ﷺ ثلاث علاجات نافعة جدًّا يعني الوصفة التي في الحديث لعلاج الوسوسة تتكون من ثلاثة أمور، وهي نافعة جدًّا للغاية في علاج الوسوسة؛ لكن لا ينتفع بالوصفة إلا من يطبقها، كما أنه لا ينتفع بوصفة الطبيب إلا من يتقيد بها. فهذا وصفة طبيب القلوب والأبدان رسول الله ﷺ.

وهي وصفة ناجعة نافعة جدًّا لعلاج الوسوسة والقضاء عليها بالكلية، وهي كما قلت تتكون من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: الانتهاء عن الاستغفال مع الوساوس، لا يسترسل الإنسان مع الوساوس إذا دخلت الوساوس البغيضة، والشبهات الخبيثة، إلىٰ قلبه لا يسترسل معها، ولا ينمِّيها، ولا يمكِّن لها في قلبه، وإنما مجرد ما يشعر بشيءٍ بغيض وأمر كريه دخل قلبه زاحم إيمانه فعليه مباشرة أن ينتهي، أن يقطع هذه الوساوس دون استرسال، كيف يقطعها؟ يقطعها بشغل الفكر عنها، لا بشغله بها وإنما يشغل فكره عنها، إما بمباحات دنيوية، أو أعمال شرعية.

إما بمباحات دنيوية يبحث له عن عمل دنيوي يشغل نفسه به حرفة يصلحها، أو شيء فاسد يعدله، أو أمر يشتغل به، حتىٰ لا تبقىٰ في نفسه.

أو يشتغل بعمل شرعي كأن يقرأ القرآن، أو يسبِّح، أو يهلل، أو يقرأ كتابا نافعًا، أو يصلِّي، أو نحو ذلك، لكن لا يجعل هذه الوساوس تمضي في قلبه؛ لأن كلَّما مضت في قلبه اتَّسع مكانها في القلب، والمطلوب ألّا يكون لها في القلب متسع، وإنما يضيق عليها بحيث أن يكون مجيئها إلىٰ القلب مرورٌ سريع فلا تجد مكانا تعشعش فيه فإذا أصبح القلب بهذه الصفة ذهبت ولم تبقىٰ، لكن إذا بدأ الإنسان يمتص مثل الإسفنجة يمتص هذه الوساوس ويشربها القلب شربا ويحاول ان يتوسع فيها وينميها فإنه بهذه الحال

تتغلغل في القلب وتتمكن وتستشري فيه، ولهذا أول خطوة الانتهاء وقطع الاسترسال تماما ينشغل عن هذه الوساوس بشغل نفسه بأمر مباح، أو بعمل مشروع، هذه الخطوة الأولىٰ.

الخطوة الثانية: يتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، كما قال الله: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ۝٩٨﴾[المؤمنون]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ﴾ [فُصِّلَت:٣٦]، فهذا الطريق الثاني التعوذ؛ يتعوذ بالله من الشيطان لماذا؟ لأن الشيطان هو السَّبب الذي يأتي بهذه الوساوس ويغذِّيها فإذا التجأت إلىٰ الله واستعذت به سبحانه من الشيطان ماذا حدث؟ إذن انقطع المد للوساوس وتحصَّنت من الشيطان فلم يكن له سبيل عليك، ولاحظ الآن قد فعلت شيئين انتهيت وتعوَّذت. بالانتهاء ماذا يحدث؟ قطع الوسواس، وبالتعوُّذ ماذا يحدث؟ قطع الجهة الممدَّة له واضح؟ بالانتهاء يكون الوسوسة انقطعت من القلب، وبالتعوُّذ انقطعت الجهة التي تمدّ الوسوسة فأصبح قلبك في ماذا؟ في عافية فتحتاج مع هذين الدواءيين إلىٰ دواء ثالث لابد منه وهو أن تقول: «**آمنت بالله**» أو تقول: «**آمنت بالله ورسله**» وعندما تقول هذه الكلمة «**آمنت بالله**» لا تقلها قولًا مجردًا، مجرد لفظ تقوله، وإنما قلها بلسانك، وقلها بقلبك مستحضرا ما تدل عليه هذه الكلمة من معاني وتعظيم لله وإخلاص له وقيام بطاعته «**آمنت بالله ورسله**».

فإذا انتهيت وتعوذت وقلت: «**آمنت بالله**» انقطعت الوسوسة، وسُدّ الطريق الذي يغذيها، وشُغل القلب بالإيمان من أنفع ما يكون. دواء من أنفع ما يكون:

- إزالة المؤذي.
- وسد السبيل الذي يوصل للإيذاء.
- وملء القلب بالنافع المفيد.

فهذا انفع ما يكون من العلاج وهو علاج محكم نافع جدا في علاج كل وسواس يدخل إلىٰ قلب الإنسان.

ولنستمع إلىٰ كلام النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**يأتي الشيطان أحدَكم**» ما يبعد أن الشيطان الذي يأتي بعض الناس إما شيطان إنسي، أو شيطان جني، ومن شياطين الإنس من يقولون مثل هذا الكلام وأكثر قال: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا**» يعدِّد مخلوقات يتدرج من الإنسان من خلق كذا؟

من خلق هذا البيت؟ من خلق هذه الشجرة؟ من خلق هذا الجبل؟ يتدرج من الإنسان إلىٰ أن يقول له: (من خلق الله؟). يتدرَّج معه؛ لأنه يريد أن يمشي معه في تسلسل في المؤثرين، والتسلسل هذا الذي في المؤثرين تسلسل باطل، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم]، والله عَزَّوَجَلَّ خالق كل شيء، رب العالمين هو سبحانه تعالىٰ الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، وإليه المنتهىٰ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ وهو عَزَّوَجَلَّ خالق جميع هذه المخلوقات، لكن يمكر الشيطان بالجاهل ويقول له: من خلق الجبل؟ يقول: الله. ويقول له: من خلق الشمس؟ يقول: الله. من خلق السماء؟ يقول: الله. ثم يقول: إذن من خلق الله؟ هذا تسلسل باطل ولا يصير مع هذا التسلسل إلا غر جاهل اتبع خطوات الشيطان، وإلا المؤمن سوي الإيمان لا يحتاج هذا الأمر عنده إلىٰ فكرة ولا يحتاج إلىٰ هذا التدرج الأمر واضح عنده، الله خالق كل شيء الأول الذي ليس قبله شيء، وهو خالق كل جميع المخلوقات، وموجد جميع الكائنات، لكن إذا ابتلي الإنسان بدخول هذا الوسواس أو نظائره، ليس شرطًا أن يكون هذا بعينه أو نظائره من الوساوس التي تستهدف تشكيك الإنسان في إيمانه بربه، أو إيمانه بكتابه، أو إيمانه برسله، أو إيمانه باليوم الآخر، أو إيمانه بالقدر، أيٍّ كانت الوساوس، إذا دخلت فماذا عليه أن يفعل؟

قال: «**فإذا بلغه**» يعني هذا الوسواس، ووصل إلىٰ مثل هذا الأمر، «**فإذا بلغه، فليستعذ بالله، ولينته**»، «**فليستعذ بالله**» أي: من الشيطان. ليقل: (أعوذ بالله من الشيطان). ولماذا تطلب الاستعاذة هنا من الشيطان؟ لأن الشيطان هو الجالب هو الذي يجلب للإنسان هذه الوساوس، فإذا قال: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) قطع الطريق، وأصبح بإذن الله عَزَّوَجَلَّ في حِصنٍ حصين، وحذر متين يحميه من الشيطان الرجيم؛ لأن من استعاذ بالله أعاذه، ومن اعتصم بالله هداه إلىٰ صراط مستقيم، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران]. إذا تحصن الإنسان بذكر الله جل وعلا أصبح في حصن ولهذا يقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، «**ولينته**» أي: لينتهي عن هذا الأمر يوقفه تماما ويمنع استرساله في قلبه، ويبدأ يشغل قلبه بالنافع المفيد من أمور دينه أو أمور دنياه.

قال: (**وفي لفظ فليقل: «آمنت بالله ورسله» في لفظ فليقل: «آمنت بالله ورسله»**)؛ (آمنت بالله) هذا الدواء الثالث لعلاج الوسوسة، يقول: (آمنت بالله، ورسله) وكما أوضحت لا يقولها قولًا مجردًا بلسانه، وإنما يقولها بقلبه، ويقولها بلسانه، يقولها بقلبه معتقدا مستحضرا ما تدل عليه شاغلًا قلبه بالإيمان بالله والإيمان

بالرسل، وماذا يتطلب الإيمان بالله؟ وماذا يتطلب الإيمان بالرسل؟ يشغل قلبه بذلك.

قال: (**وفي لفظ «لا يزال الناس يتساءلون حتىٰ يقولوا من خلق الله»**) لاحظوا اللفظ هذا يفيدنا فائدة «**لا يزال الناس يتساءلون**» يفيدنا أن الوسواس قد يأتي من شيطان جني، وقد يأتي من شيطان إنسي.

والمطلوب في هذا المقام هذه الأمور الثلاثة التي ذكر النبي الكريم عليه الصلاة والسلام الانتهاء، والتعوذ، وأن يقول: (آمنت بالله) أو يقول: (آمنت بالله ورسله) وزيادة رسله هذه ثابتة في «مسند الإمام أحمد» وهي زيادة صحيحة يقول: (آمنت بالله ورسله) أو يقول: (آمنت بالله) ثم يشغل قلبه بالإيمان بالله، وما يقتضي، وبالإيمان بالرسل وما يقتضي.

الحديث عظيم جدًّا في علاج الوسوسة، وطردها، وهو مشتمل علىٰ دواء نافع من رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

ونسأل الله جل وعلا أن يعيذنا وإياكم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد.